الدودة

قصة بقلم فاروق خورشيد

دب العفن الى كتفي .. بدأ كالنقطة الصغيرة ثم كبر وكبر حتى ملأ كل كتفي .. وتصاعدت روائح غريبة آلمني اول الامر ان تملأ الهواء الذي ينفذ الى رئتي ، وتمر بغدد الشم في انفي .. ثم اعتدته ، ولم اعد اضجر من رائحته ، رائحة الزيت .. ثم انقلب لون العفن من اللون الاصفر الى اللون الاسود ، كان سوادا قاتما متربا يتخلله بياض مريض .. وحين كنت انظر بعيني الى كتفي فتنحرف مقلتاي انحرافا كبيرا جدا ، كان يخيل لي انني انظر الى قمة جبل ساعة غروب ، واشعة الشمس المتهالكة تعكس فوقه ظل سحابة كبيرة رهيبة .. والجبل كان هناك على كتفي ، فقاعات كفقاعات الصابون ، ولكنها سوداء ..

وذات صباح انشق كتفي ، بدأت الشقوق صغيرة ضئيلة ثم تتسع وتتسع ، ومن خلالها خرجت دودة ، دودة واحدة خرجت من كتفي من الشق الكبير ، واطلت برأسها على حذر ثم ارتفع رأسها يجر وراءه جسدا هزيلا لزجا يتلوى ويتلوى كأنما يرقص ، وانبعثت الى اذني موسيقى الف ساحر هندي تملأ رأسي ، وترقص الدودة الثعبان .. الكوبرا ..

كيف كبرت الدودة ففدت ثعبانا غليظ الجسد ، قاتم اللون ، فاغر الفم ... ومتى ؟ واين .. ؟

وكنت ارفع رأسي اليه والثعبان يعلو ويعلو ، ومن عينيه يخرج لهيب نار ، ومن بين شفتيه يخرج فحيح كالدوار .. لسانه المشقوق يمتد ويمتد ، ولمس رأسي .. لسان الثعبان لمس رأسي وهو ينظر الي بعينين محمرتين كالجمر ..

واكل الثعبان عيني اليمنى .. هبط برأسه فجأة فالتقمها ، وسمعت صوتها وهي تتحطم بين فكيه ، ولم اعد ارى بها .. كانها لم توجد من قبل ، تركت وراءها فراغا ، والتأم الجرح دون ان احس ، فقط اصبحت لا أرى سوى نصف الاشياء .. من كل شيء لا ارى الا جانبا واحدا .. وعاد صوت الثعبان في فحيح مخيف ، ورفعت عيني لارى رأسه يهبط نحوي ، نصف رأسه ، ونصف لسانه ..

ثم مس لسانه اذني اليسرى ، واكلها الثعبان .. ولم احس بالالم، فقد كان في رأسي صداع ... ولم اسمع لتحطمها بين فكيه صوتا ، فقد كنت افكر في مسألة هامة : وهي كيف خلق الله الوجود ؟ ومتى ؟ ولم .. ؟ .. وحين انتهيت من التفكير كان الثعبان قد اكل اذني اليسرى من زمان .. واصبحت لا ارى الا نصف الاشياء ، ولا اسمع الا نصف الاصوات ..

وفتحت فمي لاسب الثعبان ، لاستعطفه ، لاصلي له .. فانقض الثعبان داخل فمي واكل لساني .. ولم يخرج من فمي حين تحدثت سوى فحيح كفحيح الثعبان ، وساعتها عرفت سر فحيحه فهو بلا لسان .. أما هذا الذي يتدلى من فمه فهو مصيدة يلتقط بها ما يشاء ، ويحمله الى فكيه الرهيبتين ، ثم يقضمه .. وحين اردت ان آكل لم احس لاي شيء طعما .. كان الطعام يدخل من بين شفتي لينزلق الى حلقي دون طعم ودون مذاق ..

وكان قلبي ينفجر من الغيظ ، ولكن عقلي المتزن الهادىء قال له :

ـ لقد ترك لك عينا ، وترك لك اذنا .. الا يكفيك هذا ..؟

وكان صوت الفحيح مخيفا ، ارتجفت له عضلات قلبي فانكمش ثم انكمش وهو يهتز في رعب وقد اقتنع ..

واحسست ان كتفي يرتفع والثعبان يتمطى في سعادة وراحة ، وانخفض كتفي الاخر ، واخذت عضلات ظهري تؤلمني في شدة ، بينما انداحت حبات العرق تسير فوق جلدي ، واحسها وهي تسير وكأنها هامة لحوح استمرأت عجزي ، واعجبها طعم دمي ..

وعطست ، واهتز جسدي في قوة .. وفجأة احسست بألم حاد يخترق عظامي كلها ، وتهشم شيء في وجهي ، ثم ملأ اذني الوحيدة صوت تحطم شيء بين عضلات فكي الثعبان ، وحين خف الالم قليلا عرفت ما حدث ، لقد قضم الثعبان انفي ، واكله .. وغدا وجهي بلا انف ..

وتحرك قلبي في مكانه بقلق فأوجعتني قدمي ، فقد كان قلبي عند اصبعي الاكبر من قدمي اليسرى ، وارتفع صوت عقلي الوقور يقول له :

ـ وما حاجتك الى الانف ؟ لقد كان يعوق حركته ويضايقه ، ثم ان انفك شكله منفر ، ووجهك بلا انف اكثر جمالا واشد اناقة ، وهو ادل على انسانيتك ..

ولم يجب قلبي ، وانما جعل يهتز بشدة ومعه ساقي كلها حتى الظفر .. وضاع أنفي دون ان تنزف منه قطرة من دم ، نعم ففي كل ما أكل الثعبان لم تنزف قطرة من دم ..

واصبحت لا ارى الا نصف الاشياء ، ولا اسمع الا نصف الاصوات، ولا اعرف طعم شيء ، ولا رائحة شيء ..

واشتد ارتفاع كتفي آذ ازداد جسد الثعبان طولا ، وكان يدور رأسه فيتحول جسدي كله مع الرأس الذي لا يكف عن الفحيح ، ويهتز كتفي ثم يعلو .. واحس بعضلاتي تئن تحت ضغط الالتواء العنيف اذ يرتفع كتفي بينما يهبط كتفي الاخر في استسلام ..

ويصبح العرق باردا كالثلج لزجا كالزيت ، وحين التفت بعيني الوحيدة رأيت كتفي في حذاء رأسي تماما ، واخذت ابحث عن كتفي الاخرى فلم اجدها .. استوت مع جسدي ، ودخلت في ضلوعي ، ولم يعد لها وجود ..

وكان رأسي صغيرا وكانت رقبتي قصيرة ، ولم اكن استطيع ان الفت رأسي الى اي اتجاه فقد تصلبت عضلات رقبتي ، بينما كان يدور برأسه في انطلاق ، دورات لا تهدأ ، ورقبته الطويلة ذات العضلات الملفوفة واللون الترابي تدور وتتلوى وترقص ، وعادت موسيقى الف ساحر هندي تملأ كل طاقات السمع في اذني الوحيدة ..

وصرخ عقلي في غضب وخوف :

ـ اين انت ايها القلب الحائر الجبان ..؟ اين انزويت تاركا اياي وحدي ... ؟

ولكن قلبي لم يرد .. فلم يعد في مكانه عند اصبعي الاكبر لقدمي اليسرى ، بل استطاعت عيني الوحيدة ان تراه وهو يتسلل في استكانة عند ذيل الثعبان .. واتى صوت دقاته الخافتة المذكورة كطرقات يد طفل فوق طبل اجوف ، ثم رأته عيني وهو يسير صاعدا الى اعلى ،

وسمعته اذني الوحيدة وهو يدق في هدوء وثبات .. ثم استقر .. في مكان القلب استقر .. وقد ازدادت دقاته قوة ووضوحا وثقة ..

وصرخ عقلي العجوز المريض في ضعف اليم : ـ الخائـــن ..

ثم اصبح صوته صراخا عنيفا صاخبا باكيا وهو يجهش .

ـ الخائـن .. الخائـــن ..

واحسست برأس الثعبان يدور ويدور في عنف وغضب ، ثـــم يستقر فوقي ، فوق راسي تماما .. وحاولت ان اقول لعقلي ان يهدأ ، ان يخفض صوته ، ان يصمت .. واندلع لهيب في اذنـــي الوحيدة ، ولم اعد اسمع شيئا فقد اخترق لسان الثعبان راسي ، والتف حـــول عقلي يحاول انتزاعه من مكانه في عنف .. ولكن عقلي تشبث بجمجمتي ورفض في يأس أن يتحرك ، وكان عقلي يبكي وان لم اكن اسمعه فقـد فقدت السمع تمامـا ..

وحين حاول الثعبان ان يخرج لسانه من رأسي اصطدم بجوانـب جمجمتي فتصدعت .. وخرج لسان الثعبان .. ثم امسك شيء برأسي، شيء كالحديد ، كالعنف ، كالغضب ، كالمـــوت .. واحسست بلسان الثعبان يدور في شعري في هدوء وبطء وتثاقل ، وحاولت عينيالوحيدة ان ترى ولكن كل شيء كان غائما ، فقط عيناه كالجمر ، كلسان مـــن لهيب ، وفتح فكيه ثم هبط وهبط ، واحتوى رأسي بين فكيه .. واطبق فكاه مكان اذني الذاهبتين ، وتحسس لسانه مكان أنفي الذي راح ..

ولم اعد ارى شيئا ، فقد اطبق علي ظلام قاس رهيب ..

واحسست بفكيه عند عنقي ، فوق تفاحة آدم ، عند منبت العنـق تماما ، ثم انطبقتا ، وتمزق كل شيء ..

ثم اخذت اتمايل كلي ، وارقص وحولي موسيقى الف ساحر هندي.

وكان قلبي يخفق في عنف وانا اتمايل مترنحا فـي رقص يشملني كلـي ذرة ذرة ..

اصلي دودة ثم كبـرت ... !

فاروق خورشيد

شعـــر

من منشورات دار الآداب

★★★

		ق.ل
● الاعاصير	للشاعر القروي	٣٥٠
● وحدي مع الايام	لفدوى طوقان	٣٠٠
● وجدتها	لفدوى طوقان	٣٠٠
● اعطنا حبا	لفدوى طوقان	٢٥٠
● مدينة بلا قلب	لاحمد ع. حجازي	٢٠٠
● عيناك مهرجان	لشفيق معلوف	٢٠٠
● ابيات ريفية	عبد الباسط الصوفي	٣٠٠
● ابيات مؤرقة	لسليمان العيسى	٣٠٠
● في شمسي دوار	فواز عيد	٢٠٠
● الفجرآت يا عراق	هلال ناجي	٢٠٠
● المشانق والسلام	عدنان الراوي	٢٠٠
● حداء وغناء	خالد الشواف	٢٠٠

سلسلة الجوائز العالمية

صدر منها :

١ ـ المثقـفون

رائعـة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرابيشي

في جزءين ـ ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

٢ ـ السـأم

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهـير

البرتو مورافيـا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمـن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

٣ ـ ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للماساة العرقية في افريقيا الجنوبية

تاليف الان بيتون

ترجمة خليـل الخوري

الثمن ٤٥٠ قرشـا لبنـانيا

منشورات دار الاداب ـ بـيروت